

تفسير البحر المحيط

@ 82 @ وبكاء كثيراً . وهذا من المواضع التي يحذف فيها المنعوت ، ويقوم نعتة مقامه ، وذلك لدلالة الفعل عليه . وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكونا نعتاً لطرف محذوف أي : زماناً قليلاً ، وزماناً كثيراً انتهى . والأول أجود ، لأن دلالة الفعل على المصدر بحروفه ودلالته على الزمان بهيئته ، فدلالته على المصدر أقوى . وانتصب جزاء على أنه مفعول لأجله ، وهو متعلق بقوله : وليبكوا كثيراً . .

{ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لَوْلَا فَتْرُوحُ .
فَقُلْ لَّيْسَ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَئِنْ تَقَعْتُمْلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنْ نَزَّكُمْ
رَضَيْتُمْ } : الخطاب للرسول والمعنى : فإن رجعت إلى طائفة منهم فاستأذِنُواكَ وهو غزوة تبوك . قيل :
ودخول إن هنا وهي للممكن وقوعه غالباً إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم
بمستقبلات أمره من أجل وغيره ، إلا أن يعلمه الله ، وقد صرح بذلك في قوله تعالى : { قُلْ
مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا * فَعَلَّ * بِي وَلَا بِيَكُم *
وَلَا * كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ ثَرَاتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوء } قال نحوه ابن عطية وغيره ، إلى طائفة منهم لأن منهم من مات ، ومنهم من تاب
وندم ، ومنهم من تخلف لعذر صحيح . فالطائفة هنا الذين خلصوا في النفاق وثبتوا عليه
هكذا قيل . وإذا كان الضمير في منهم عائداً على المخلفين الذين خرجوا وكرهوا أن
يجاهدوا ، فالذي يظهر أن ذكر الطائفة هو لأجل أن منهم من مات . قال ابن عطية : ويشبه
أن تكون هذه الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق ، وعينوا للنبي صلى الله عليه
وسلم) ، وإلا فكيف يترتب على أن يصلي على موتاهم إن لم يعينهم . وقوله : وما تواوهم
فاسقون ، نص في موافاتهم . ومما يؤيد هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم) عينهم لحذيفة
بن اليمان ، وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها
ـ وروي عن حذيفة أنه قال يوماً : بقي من المنافقين كذا وكذا . وقال له عمرو بن الخطاب :
أنشدك أنا منهم ؟ فقال : لا وإياي ، لا أمنت منها أحداً بعدك . وأمر الله نبيه أن يقول
لهم : لن تخرجوا معي هو عقوبة لهم وإظهار لدنائة منزلتهم وسوء حالهم ، وهذا هو المقصود
في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من أخذ صدقته ، ولا خزي أعظم من أن يكون
إنسان قدر فضه الشرع ورده كالجمل الأجر . .

قال الزمخشري : فاستأذِنُواكَ للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك ، وكان إسقاطهم من
ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله تعالى أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق ،

بخلاف غيرهم من المحلفين انتهى . وانتقل بالنفي من الشاق عليهم وهو الخروج إلى الغزاة ، إلى الأشق وهو قتال العدو ، لأنه عظم الجهاد وثمره الخروج وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة ، ثم علل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالقعود أول مرة ، ورضاهم ناشء عن نفاقهم وكفرهم وخداعهم وعصيانهم أمر الله في قوله : { اذْغَرُّواْ خِيفًا۟ وَّثِقَالًا۟ } وقالوا هم : لا تنفروا في الحر ، فعلل بالمسبب وهو الرضا الناشء عن السبب وهو النفاق . وأولمرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك ، ومرة مصدر كأنه قيل : أو خرجة دعيتم إليها ، لأنها لم تكن أول خرجة خرجها الرسول للغزاة ، فلا بد من تقييدها ، إذ الأولية تقتضي السبق . وقيل : التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزوة الروم بنفسه . وقيل : أول مرة قبل الاستئذان . وقال أبو البقاء : أول مرة طرف ، ونعني طرف زمان ، وهو بعيد . . وقال الزمخشري : (فإن قلت) : مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل ، فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها